الصراع على العرش في الامبراطورية الرومانية ٣٠٦-٣٢٤م

ا.د ماجد محيي الفتلاوي م.م عباس فخري حمزة

The struggle for the imperial throne in the Roman Empire, 306-324AD

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية مديرية تربية بابل

المقدمة

يعد الصراع على العرش من ابرز مظاهر حقبة العصور الوسطى لاسيما حقبة الامبراطورية الرومانية اذ تكررت هذة الحادثة في العديد من المناسبات لذلك حاول اباطرة الرومان بوجود الحل الامثل لانهاء ذلك الصراع الذي يتجدد بعد وفاة او اعتزال الامبراطور السابق ومن ابرز هذه الصراعات هو الصراع الذي حدث بعد استقالة الامبراطور دقلديانوس وزميله ماكسيميانوس للمدة(٣٠٥-٣٢٤م) اذ برز في هذا الصراع الكثير من مراكز القوى ورموز متعددة اسهمت في تصاعد وتيرة هذا الصراع وكذلك افضى الى نتائج مختلفة في الجانب السياسي بقى اثره شاخص لمراحل زمنية متلاحقة , ومن هنا جاء اختيار البحث بعنوان (الصراع على العرش الامبراطوري ٣٠٥-٣٢٤م) اذ قسم البحث الى مبحثين تناول المبحث الاول اسباب الصراع وهي تقسيم الامبراطورية الى اربعة اقسام اوما يعرف بالحكم الرباعي والثاني ظهور قسطنطين كوريث لوالدة في الغرب والثالث هو مطالبة ماكسنتيوس بعرش والده اما السبب الرابع هو تنصيب امبراطور جديد باسم ليسنيوس خلال مؤتمر كارنونتوم اما المبحث الثاني كان بعنوان مراحل الصراع اذ كانت المرحلة الاول تبدأ من ٣٠٧ م والصراع مابين قسطنطين و ماكسنتيوس حتى اندحار ماكسنتيوس وحليفه ماكسمنيوس دايا عام ٣١٣م اما المرحلة الثانية والتي تمثلت بالصراع ما بين الحليفين ليسنيوس وقسطنطين اذ بدء مع نهاية المرحلة الاول حتى سيطرة قسطنطين وتفرده بالسلطة على الامبراطورية الرومانية بعد قتل ليسنيوس عام ٣٢٤م وفي النهاية كانت الخاتمة التي تضمن الاستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت في كتابته

الكلمات المفتاحية
(الامبراطورية الرومانية - العصور الوسطى - الصراع - دقلديانوس - الاباطرة الرومان - مؤتمر كارنونتوم)

The struggle for the throne in the Roman Empire (306-324 AD)

The struggle for the throne is one of the most prominent manifestations of the medieval era, especially the era of the Roman Empire, as this incident was repeated on many occasions, so the Roman emperors tried to find the best solution to end this conflict that is renewed after the death or retirement of the previous emperor, and the most prominent of these conflicts is the conflict that occurred after the resignation Emperor Diocletian and his colleague Maximian For the period (305-324 AD), as many centers of power and multiple symbols emerged in this conflict that contributed to the escalation of the pace of this conflict and also led to different results on the political side, whose impact remained distinct for successive periods of time

Keywords
(Roman Empire - Middle Ages - Conflict - Diocletian - Roman Emperors - Carnuntum Conference

المبحث الاول :اسباب الصراع

١- تقسيم الامبراطورية الى اربعة اقسام او مايعرف بالحكم الرباعي.

الصراع على العرش في الامبراطورية الرومانية
٣٠٦-٣٢٤م
ا.د ماجد محيي الفتلاوي م.م عباس فخري حمزة

امتدت الامبراطورية الرومانية من بحر البلطيق شمالا الى منابع نهر النيل جنوبا ومن المحيط الاطلسي غربا الى نهر الفرات شرقا حتى امسى الرومان يدعون البحر المتوسط (بحرنا) وبذلك شملت مساحات واسعة من قارات العالم القديم.[١] من الصعب اداريا السيطرة على هذة الاقاليم من روما عاصمة الامبراطورية والتحكم بها مباشرا فكان لابد من تقسيم الامبراطورية الى ولايات عدة [٢] وبما ان بعض من الأباطرة الطموحين في امثال الامبراطور دقلديانوس كان لزامنا عليه ان يقوم بخطوة اصلاحية من الناحية الادارية وهو تقسيم الامبراطورية الى قسمين شرقي واخر غربي , وهذا التقسيم ليس بجديد على طبيعة حكم الامبراطورية الرومانية فكانت هناك سابقة لماركوس اوريليوس (١٦١-١٨٠م) انه عين رفيقا له وهو كونسورت عند بداية حكمه كما قسم جالينوس[٣].

كذلك ظاهرة اشراك امبراطوريين في ان واحد الامبراطوران مارك اوريل ولوسيوس فيروس عندما اشتركا في حكم الامبراطورية الرومانية خلال العهد الامبراطوري الاول [٤]وفي سنة ٢٣٨م منح اختيار مجلس الشيوخ اثنين من اعضائه ومنحهما بالتساوي الالقاب نفسها والسلطات عينها بما فيها الحربية العظمى والتي اسندت للمرة الاولى الى شخصيين في ان واحد [٥] على اساس هذه المبررات قام الامبراطور دقلديانوس بتقسيم الامبراطورية الى قسمين اذ دعا الامبراطور ماكسيميانوس او ماكسميان الى الاشتراك معه في حكم النصف الغربي من الامبراطورية وحمل الاخير مثله لقب اوغسطس , وهكذا اصبح لدقلديانوس في الوقت الذي كانت له السيطرة على شريكه الاشراف على النصف الشرقي من الامبراطورية.[٦]

بعد ذلك اتضح لدقلديانوس ان هذا التقسيم غير كاف للقيام باعباء الامبراطورية وذلك نتيجة سعة وتشعب الامبراطورية جغرافيا وسياسيا اذ بعد التقسيم الاول بسبع سنوات اي في عام ٢٩٣م عين قسطنطينوس وجاليريوس كمساعدين شركاء يحمل كل منهما لقب قيصر وله مسؤولية اقليمية خاصة فكان الاول لمساعدة ماكسميانوس في الغرب والاخير لمساعدة دقلديانوس في الشرق وهكذا قسمت الامبراطورية الى اربعة اقسام اداريا يشتمل كل قسم منها على عدد من الولايات انيطت لكل قيصر يقوم على واجباتها ويرتبط مباشرة مع الامبراطور المشرف على القسم الخاص به , وبمقتضى هذا النظام تقرر ان يستقيل الاوغسطسان بعد عشرين سنة من بداية مباشرة مهام منصبيهما على ان يحل القيصران محلهما وبذلك تتلافى الامبراطورية قيام اية مشاكل حول وراثة العرش من ناحية والبعد عن ويلات الحروب الاهلية من ناحية اخرى.[٧]

على الرغم من ان هذا النظام الاداري الذي نادى به دقلديانوس كان ايجابيا على الامبراطورية ونظام حكمها الا انه يحمل في طياته الكثير من الفشل والدليل على ذلك بالرغم من الحفاظ على الاتفاق مابين الامبراطوريين لكنه اهمل بعض الجوانب الفطرية وهي رغبة في الاستمرار عن طريق الابناء والاحفاد والنفور من الاستقالة وهذا ماواجهه دقلديانوس في نظامه الاداري قبل ان تدركه المنية في سنة ٣١٣م وفشله وتخلي المسؤليين عنه نهائيا اذ سددت له الضربة الاولى منذ سنة ٣٠٦م حيث سارع الجيش المرابط في بريطانية حين توفي الامبراطور قسطنطينوس بين وحداته بالمناداة بابن الفقيد قسطنطين دونما اكتراث لقيصره ومنذ سنة ٣١٠م كان في العالم الروماني عشرة اشخاص يحملون لقب امبراطور.[٨]

---

[١]) ل.ج. شيني , تاريخ العالم الغربي ,ترجمة مجد الدين حفنى ناصف ,مراجعة علي ادهم , دار النهضة العربية ,مصر , د.ت, ص٧٤.

[٢]) عبد الله السليمان, تاريخ الرومان ,نور حوران للدراسات والنشر والتراث ,دمشق ,ط١, ٢٠٢٠ ,ص٢٣٥

[٣]) كافين رايلي , الغرب والعالم تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ,ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري , هدى عبد السميع حجازي , الكويت , ١٩٨٥, ص ١٤٧, محمود محمد الحويري , رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية, دار المعارف ,مصر ,ط٣, ١٩٩٥,ص٣٤

[٤]) اندريه ايمار ,جانين ابوايه , تاريخ الحضارات العام روما وامبراطوريتها , ترجمة فريد م داغر وفؤاد ج ابو ريحان,المجلد الثاني , منشورات عويدات ,بيروت ,ط٢, ١٩٨٦, ص٥٥٥

[٥]) اندريه ايمار ,جانين ابوايه , المصدر السابق,ص٥٥٦

[٦]) أ.ب. تشارلز روث ,الامبراطورية الرومانية, ترجمة رمزي عبده جرجس ,مراجعة محمد صقر خفاجة ,القاهرة .د ت,ص١٩٥

[٧]) عفاف سيد صبره , الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ,دار النهضة العربية ,مصر,ط١, ١٩٨٢, ص١٠-١٢

[٨]) اندريه ايمار ,جانين ابوايه ,المصدر السابق ,ص٥٥٧

لعل ذلك الضعف الذي دب في سلطة الامبراطورية وتحكم القوات العسكرية في عزل وتنصيب الاباطرة سببه يرجع الى الامبراطور اغسطس الذي حكم بين عامي (٢٩ق م-١٤م) اذ لم يعن بايجاد طريقة قانونية لانتخاب الامبراطور فاصبح بمقدور الجند بعد ان ازداد نفوذ الجيش ان يختاروا من يرتضونه ليكون امبراطورا عليهم. [٩]

٢- ظهور قسطنطين على مسرح الاحداث ومطالبته بالحكم بالوراثة.

كان قسطنطين ابنا غير شرعي لقسطنطينوس من عشيقته هيلينا التي التقى بها في بثينيا واقام معها لعدة سنوات [١٠] ولدت له ابنه قسطنطين في ثيوس (نيش في يوغسلافيا) في ١٧ فبراير عام ٢٨٠م وعندما اصبح والده قيصرا مسؤلا عن بريطانية وغالة طبقا للنظام الذي وضعه دقلديانوس طَلَّقَ زوجته (هيلينا) حتى يستطيع الزواج من (ثيودورا) ابنة الامبراطور ماكسيميانوس وعلى اثر ذلك ارسل ابنه قسطنطين الى بلاط دقلديانوس لينال قسطا من التعليم. [١١]

تربى الطفل في القصر الملكي في نيقوميديا حيث المَّ بأحداث الامبراطورية واسرار القصر الامبراطوري فنشأ متفهما لاسرار السياسة[١٢], بعد ان بلغ دقلديانوس الستين من عمره ونال منه المرض, فظهر للملا بعد غياب طال اكثر من ثمانية عشر شهرا ففي سنة ٣٠٥م اعلن عن تنازله عن العرش وزميله ماكسيميانوس وحسب النظام الذي اقره فعليه ان يترقى القيصران كل من قسطنطينوس وجاليريوس الى مرتبة الاغاطسة [١٣] فكان لجاليريوس النفوذ الحقيقي من هزيمتة للفرس عام ٢٩٨م كما كانت له اليد الطولى في اختيار النائبيين (القيصريين) وهما فلافيوس سيفيروس في الغرب وماكسيمينوس دايا في الشرق ولهذا كان الاثنان تحت نفوذه وعن طريقهما كان جاليريوس يسيطر على معظم أجزاء الامبراطورية كما استغل وجود ابن قسطنطينوس الصغير في قصره ليلوح به كرهينة في وجه أبيه وليجعل منه مساعدا له في تحقيق مخططاته. [١٤]

في عام ٣٠٦م غزت القبائل الاسكتلندية جنوب بريطانية عندئذٍ طلب قسطنطينوس من جاليريوس ان يبعثَ له ولده ليساعده في هذه الحرب وحاول الأخير المماطلة خوفا مما قد يفعله الامير الشاب ولكنه رضخ في النهاية ووافق على سفر قسطنطين الى أبيه وعندما أحسَّ الامير الذكي ان جاليريوس قد يغير من رايه تسلل ليلا في طريقه الى ابيه الذي التقى به عند بولونيا ومنها ابحرا الى بريطانيا[١٥], وبعد عدة معارك قادها الاب والابن مات قسطنطينوس الاب في يورك اذ وبعدها تجمعت القوات حول الامير اللامع وهتفت الحامية الرومانية في بريطانيا مناديتا بتنصيب قسطنطين الابن امبراطورا (اغسطس) مكان ابيه وفي الحال بعث قسطنطين برسالة الى جاليريوس يطلب منه الموافقة والاعتراف به امبراطورا شريكا مكان ابيه. [١٦]

لم يكن ذلك يتفق باي حال من الاحوال مع الخطة او النظام الرباعي الذي وضعه دقلديانوس لكن جاليريوس رضخ لطلب قسطنطين تفاديا لوقوع حرب داخلية بين القسمين الشرقي والغربي بالاضافة الى وجود بقية باقية من القوات المعادية من الاسكتلنديين يجب التصدي لهم وقهرهم. [١٧]

لكن جاليريوس احتال على قسطنطين وتضرع بحجة النظام القائم ووافق على تنصيبه نائبا للامبراطور الذي عينه جاليريوس وهو سيفيروس شريكا له وقد رد الامير بالموافقة بدوره تفاديا للصراع وحرصا على بقاء السلطة الرباعية [١٨]

---

[٩]) عبد الله السليمان, المصدر السابق ,ص٢٤٦

[١٠]) سيد احمد علي الناصري , تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري, دار النهضة العربية ,مصر,ط٢, ١٩٩١ ,ص٤٢٨

[١١]) احمد غانم حافظ ,الامبراطورية الرومانية من النشأ الى الانهيار ,تقديم حسين احمد الشيخ ,دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ط١ , ٢٠٠٧, ص٩٤,ص٣٩

[12]) DAVID S. POTTER , THE ROMANEMPIRE, 2006 by Blackwell Publishing ,p168

[١٣]) عفاف سيد صبره , المصدر السابق ,ص١٢

[١٤]) سيد احمد علي الناصري, المصدر السابق ,ص٤٢٨

[15]) David Potter ,p 169.

[١٦]) سيد احمد علي الناصري, المصدر السابق , ص٤٢٩

[١٧]) أ.ب. تشارلز روث , المصدر السابق , ص٢٠٦

[١٨]) محمود محمد الحويري , المصدر السابق , ص٣٩

٣- ظهور ماكسنتيوس ابن ماكسيميانوس ومطالبتة بالعرش.

بعد ان علم ماكسنتيوس ابن الامبراطور ماكسيميانوس ابن الامبراطور المعتزل بتولي قسطنطين قيصرا لسيفيروس في الغرب حتى اعلن احقيته في وراثة منصب ابيه اسوة بقسطنطين بل واعلن انه ابن شرعي للامبراطور المستقيل وليس ابنا غير شرعي مثل القيصر الجديد [١٩] وعلى اساس ذلك نادى الحرس البريتوري في روما بماكسنتيوس امبراطورا الا ان جاليريوس اعترض على تنصيبه بشدة لانه لم يرَ فيه الشخص المقاتل الكفء والقادر في حين تجاهل ماكسنتيوس رفض جاليريوس له ونصب نفسه حاكما على ايطاليا وافريقيا بصفة امبراطور لأنَّه كان يتوق لعودة الزعامة الى العاصمة التليدة عام ٣٠٦م[٢٠]

ردأ على ذلك أمر جاليريوس الامبراطور الشرقي سيفيروس امبراطور الغرب بمهاجمة ماكسنتيوس في ميلان ليجبره على التراجع عن قراره الا ان ظهور الامبراطور المستقيل ماكسيميانوس على ساحة الاحداث من جديد وبطلب من ابنه لمساعدته في استرجاع العرش عقّد الأمور وضاعف الاضطراب واشترك في الحرب التي شبت نارها في ايطاليا ومما زاد الطين بلة هو تخلي جنود سيفيروس عنه وهذا ماجعل الانتصار حليف ماكسنتيوس ووالده والتخلص من سيفيروس عام ٣٠٧م[٢١]

وبذلك استطاع ماكسنتيوس ان يسيطر على العاصمة القديمة ويواصل حكمه بلقب اغسطس ووعد بعودة المكانة المتميزة للرومان على سائر شعوب الامبراطورية وانظمت اليه ولاية افريقيا التي كان سكانها يشكلون عنصرا رومانيا خالص المولد والثقافة. [٢٢]

في تلك الاثناء وجه ماكسيميانوس نداء لدقلديانوس بالعودة الى الحكم من أجل حماية نظامه ولكن الأخير رفض التدخل وأثر الاعتكاف في قصره ومراقبة الاحداث من بعيد , بعد ان رفض دقلديانوس طلب ماكسميانوس بدا الخلاف مابين الاخير وابنه حول من يكون امبراطورا في الغرب اذ كانا يتنافسان على لقب اغسطس ومن اجل هذا سافر الاب الى تريفيز حيث يقيم قسطنطين وقدم له ابنته الصغرى فاوست كخطيبة له وعرض عليه مساعدته للدخول في معارك ضد ماكسنتيوس والامبراطور جاليريوس وان يعلن نفسه اغسطسا ولكن قسطنطين الذكي اعتذر عن هذة الصفقة المشبوهة مفضلا الانتظار والتريث فعاد ماكسيميانوس الى روما محاولا اثارة القوات ضد ابنه ولكن القوات رفضت ذلك فانسحب مرة اخرى الى تريفيز ليقيم في بلاد قسطنطين تاركا ابنه سيدا على ايطاليا وحده [٢٣]

٤- مؤتمر كارنونتوم ٣٠٧م.

بعد ان ادرك جاليريوس ان كل مافعله دقلديانوس على وشك الانهيار فقام بتوجيه دعوة الى جميع الاطراف المتقاتلة على السلطة بالحضور الى مدينة كارنونتوم الواقعة على نهر الدانوب (النمسا حاليا) وكذلك وجهه الدعوة الى دقلديانوس وماكسيميانوس وحضرا الاجتماع فيما تخلف كل من قسطنطين وماكسيميانوس دايا وقد اسفر النقاش في هذا المؤتمر عن وجهات نظر مختلفة فمثلا رفض ماكسيميانوس العودة الى الاعتزال واعلنَ المجتمعون ان (ماكسنتيوس) عدوا للدولة يجب محاربته كذلك افضى هذا المؤتمر عن تعيين اغسطسا جديدا وهو فلافيوس ليسينيوس مكان سيفيروس الذي قتل في المعارك ضد ليكنتيوس وما ان سمع قسطنطين بهذا الامر حتى اتخذ لنفسه لقب اغسطسا ولم يقبل بتعينه قيصرا لفلافيوس ليسينيوس وبعد سنة واحدة من هذا الوقت لقب ماكسمينوس دايا نفسه باللقب عينه.[٢٤]

بهذا اصبح في الامبراطورية ستة اغاطسة بدل من الاثنين الذين كانا على عهد دقلديانوس ولم يكتف واحدا منهم بان يكون قيصرا فقط [٢٥] ولكن لكل واحدا قاعدته التي يستند عليها في استحقاقه وقوته في تبني هذا اللقب فمثلا الامبراطور المستقيل ماكسيميانوس بعد ان دخل في صراع مع ولده حول لقب الاغسطس ولم يتمكن من ازالته عن طريقه قرر ان يستغيث

---

[١٩]) سيد احمد علي الناصري, المصدر السابق ,ص٤٢٩

[٢٠]) محمود سعيد عمران ,معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى ,دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية ,د ط ,د ت ,ص٣٥

[٢١])ول ديورانت , قصة الحضارة , قيصر والمسيح او الحضارة الرومانية ,الجزء الثالث من المجلد الثالث , ترجمة محمد بدران ,دار الجيل , بيروت , ١٩٨٨,ص ٣٨٣

[٢٢]) محمود سعيد عمران , الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ,دار النهضة العربية, بيروت ,ط٢, ٢٠٠٢,ص٢٢

[٢٣]) ول ديورانت , المصدر السابق ,ص٣٨٤

[٢٤]) سيد احمد علي الناصري, المصدر السابق ,ص٤٣٠

[٢٥]) ول ديورانت , المصدر السابق , ص٣٨٣

بقسطنطين كما اسلفنا لكن الاخير قابله بفتور واعرض عن مساعدته وذهب الى الجهة الاخرى لمحاربة الالمان على ضفاف الراين فقام ماكسيميانوس بانتهاز فرصة غياب قسطنطين لينصب نفسه قائدا على الجيوش بغالية الا ان قسطنطين عاد وهو غاضب لمثل هذة الخيانة لرجل فتح له قصره وضرب الحصار حول قواته وراح يطارده حتى استسلم في مارسيليا ولما وجد ماكسيميانوس أنَ الطريق امامه مسدودة شنق نفسه في حجرته وبذلك خرج من الصراع واحدا من اكبر اقطابه. [٢٦]

المبحث الثاني : مراحل الصراع على العرش الامبراطوري

١- صراع قسطنطين مع ماكسنتيوس حتى عام ٣١٢م.

بعد فشل المحاولات الاصلاحية التي قام بها الامبراطور جاليريوس في مؤتمر كارنونتوم وتقريب وجهات النظر مابين المتقاتلين وتخليص الامبراطورية من حرب شعواء قد تحدث في وقت مبكر الا انه حدث العكس فكانت هناك اطماع برزت الى الواقع بشكل اكثر خاصة بعد تعيين ليسنيوس امبراطورا شريكا للامبراطور جاليريوس.

رفض كل من قسطنطين في الغرب وماكسيمنوس دايا في الشرق بالاضافة الى تمسك الامبراطور المستقيل ورغبته في العودة الى دفة الحكم الا ان طموحه هذا سبب بقتله على يد قسطنطين عندما حاول ان يغتصب العرش بغياب قسطنطين وهذا ماجعل الاخير يقوم بمعاقبته واجباره على قتل نفسه منتحرا والذي جعل من هذا الامر السبب الرئيسي للدخول في صراع مع ولده ماكسنتيوس بالاضافة الى ماقام به قسطنطين بعد مقتل ماكسيميانوس باللغاء عبادة هرقل الذي كان رمزا لعرش ماكسيميانوس واحل محله رب الشمس الذي لايقهر والذي كانت عبادته في بلاد الغال.[٢٧]

صاحب ذلك اعلان قسطنطين بانه يحكم بحق نسبته الى كلاوديوس القوطي الذي ادخل عبادة هذا الرب السامي واعلن عن معارضته لماكنتيوس بل واعتبره طاغيا يجب خلعه ,فما كان من ماكنتيوس الا ان يدافع عن عرشه الامبراطوري فاخذ بتوجيه الاتهام الى قسطنطين واتهمه بانه هو الذي قتل والده ويجب ان يدفع ثمن هذة الجريمة [٢٨] وبعد موت جاليريوس عام ٣١٠م اخذ ماكنتيوس على عاتقه بالتحالف مع ماكسيمينوس دايا الذي اصبح امبراطورا بدلا من المتوفي جاليريوس وتم التحالف بينهما ضد كل من قسطنطين وليسنيوس في الغرب للقضاء عليهم الا إن الاخيرين تحالفا ضد ماكسيمينوس دايا وماكسنتيوس ورأى قسطنطين ان يكون هو البادئ بالعمل فعبر جبال الالب وهزم جيشا لعدوييه قرب تورين [٢٩] وفي عام ٣١٠م بدأ قسطنطين باثبات نفسه كقائد بالغ المهارة ويتميز بالشجاعة الفائقة وخططه الاستراتيجية الدقيقة البارعة هي الخيط الاول والرئيسي في كل الحروب والمناورات السياسية اذ بدأ هجومه على اسبانيا التي كانت المصدر الوحيد لاطعام الايطاليين بعد انفصال افريقيا عن ايطاليا عام ٣٠٨م وقد احدث ذلك مجاعة كبرى في روما صاحبها اضطرابات داخلية واعمال عنف حصيلتها مقتل عدد كثير من الرجال ولم يجد ماكسنتيوس طريقا اخر سوى مهاجمة افريقيا واسترجاعها الى ممتلكاته وبالتالي تم استرجاعها وهذا من جانبه قد حسن الوضع الاقتصادي واختفت ازمة القمح كما ان ضمها اعطى ماكنتيوس قاعدة متقدمة ووضعا عسكريا افضل ومن ثم صار يخطط لملاقاة وهزيمة قسطنطين.[٣٠]

بعد النصر الذي احرزه قسطنطين على جيش ماكنتيوس في اسبانيا جعله ان يعقد العزم وبتاييد من جنده على الاقدام على غزو ايطاليا نفسها فكان ماكسنتيوس يتوقع ذلك الغزو فحصن المدينة تحصينا منيعا مستغلا الجدران الضخمة التي بناها اوريليانوس وما كان للغازي ان يستطيع الدخول الى المدينة غير ان ماكنتيوس غير من خطته وذلك خوفا من اندلاع الثورة

---

[26]) Davids. Potter , op.cit ,p 171.

[٢٧]) نورمان ف. كانتور , التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية , القسم الاول , ترجمة قاسم عبده قاسم , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , مصر ,ط٥ ,١٩٩٧, ص٦٥

[٢٨]) سيد احمد علي الناصري , المصدر السابق , ص٤٣١

[٢٩]) ول ديورانت , المصدر السابق ,ص٣٨٤

[٣٠]) محمود محمد الحويري , المصدر الاسبق , ص ٣٩

ضده فخرج من تحصيناته ليقابل قوات قسطنطين[٣١] وعبر نهر التيبر على جسر من القوارب بعد ان كان قد دمر جسر ميليفا القديم الذي كان قائما على النهر وذلك ضمن خطة التحصينات الدفاعية التي اقامها وتقدم عبر طريق فلامنيوس مسافة عشرة اميال من شمال روما حتى وصل الى منطقة الصخور الحمراء وهناك وجد قسطنطين بانتظاره وبقواته الكبيرة وقد افلح قسطنطين بخططه الحديثة الفائقة ان يرغم عدوه على ان يقاتل ونهر التيبر من خلفه وليس له طريق يسلكها اذا تقهقر.[٣٢]

تقابل الجيشان في هذة المنطقة وكانت الغلبة لقسطنطين واستطاع ان يقتل ماكسنتيوس عند جسر ميلفيان عام ٣١٢م خارج مدينة روما واعدم ابناءه ونكل بكل من ينتمي اليه وتوقع اعوانه انهم ملاقو نفس المصير ولكن قسطنطين الذي امتاز بخططه الدفاعية البارعة في الحرب ايضا امتاز بالمناورات السياسية في السلم فاصدر عفوا عاما هدأت به الخواطر وعندما زار (مجلس السناتو[٣٣]) اكد احترامه لهذا المجلس ووعد بتدعيم مكانته وامتيازاته القديمة ورد المجلس على هذا باصدار مرسوما يقضي بتعيين قسطنطين في المكان الاول بين الاباطرة الذين يحملون لقب اوغسطس وواقع الامر لم يكن قسطنطين بحاجة الى مثل هذا المرسوم لان المجلس لم تعد له سلطة فعالة في تعيين وعزل الاباطرة كما كان سابقا بل كانت السلطة الحقيقية في قسطنطين معتمدا على رجال الجيش وعلى النصر الذي احرزه على منافسيه [٣٤]

٢- الصراع بين ماكسيمنوس دايا وليسنيوس حتى عام ٣١٣م.

بعد الانتصار الذي حققه قسطنطين مع حليفه ليسنيوس على ماكسنتيوس في ايطاليا تقابل الطرفان في ميلان واتفقا على تنسيق الحكم بينهما ورسم الخطوط الاساسية في الكثير من الاعمال التي سيقومون بها في المستقبل وخاصة هناك منافس اخر في الشرق باسم ماكسمنيوس دايا الذي كان متحالفا مع ماكسنتيوس وقد اعتلى هذا المنافس عرش الامبراطورية بلقب اوغسطس بعد وفاة الامبراطور في الشرق جاليريوس عام ٣١١م وقد استولى على الولايات الاسيوية فاصدر المتحالفين مرسوم ميلان في اوائل عام ٣١٣م الذي اكد فيه التسامح الديني الذي اعلنه جاليريوس ووسعا نطاقه حتى شمل الاديان كلها ويامران بان يعاد الى المسيحيين ما انتزع من املاكهم اثناء الاضطهاد الاخير[٣٥] وقد وجه قسطنطين امرا الى ماكسيمنوس دايا امرا بتطبيق ما اتفقا عليه في مرسوم ميلان وقبل الاخير هذا الامر على مضض لان موقفه كان ضعيفا خاصة بعد مقتل حليفه في الغرب بالاضافة الى سخط المسيحيين في الشرق لما كان له من بصمة في اضطهاد المسيحيين ايام جاليريوس.[٣٦]

رغم هذا لم ييأس ماكسيمنوس دايا في اعادة هيبة على ممتلاكته في الشرق اذ انتهز فرصة غياب قسطنطين حليف ليسنيوس وانشغاله في غزو الراين فقرر الانقضاض على ليسنيوس في شتاء عام ٣١٣م فسار بجيش تعداده اكثر من سبعون الف على منطقة البسفور حيث حاصر مدينة بيزنطة التي استسلمت له بعد احد عشر يوما فقط وماكان من ليسنيوس الا ان يتحرك نحو الشرق ليكيل الضربات لعدوه الشرقي فسار اليه من قاعدته في ميلان وعند مدينة هادريا نوبوليس تقابل العدوان وهزم ليسنيوس غريمه ماكسيمنوس دايا الذي هرب متخفيا في زي عبد[٣٧], ولكن ليسنيوس طارده عبر آسيا الصغرى حتى قبض عليه مريضا وأسره حتى مات وبموته أصبح قسطنطين وليسنيوس حاكمي الامبراطورية لاينازعهما منازع وقسما حكمهما مابين الشرق تحت حكم ليسنيوس والغرب تحت حكم قسطنطين واصدر ليسنيوس قرارا بتطبيق مرسوم ميلان الذي يمنح الحرية للكنائس المسيحية ورد الاعتبار اليها واعادة ممتلكاتها المصادرة اليها واعفاء رجالها من الخدمات الالزامية. [٣٨]

٣- صراع قسطنطين مع امبراطور الشرق ليسنيوس حتى عام ٣٢٤م.

---

[٣١]) سيد احمد علي الناصري, المصدر السابق, ص٤٣٣

[٣٢]) أ ب تشارلز روث , المصدر السابق , ص٢٠٥

[٣٣]) هو هيئة من الاشراف مكون من الرجال البارزين من جميع الطبقات وهو من احد الهيئتين الحاكمة في روما اذ له الحق في اختيار الاباطرة الرومان وتنصيبهم وهو مركز الفكر السياسي الروماني وقبلته , للمزيد عنه ينضر , ه.ج, ويلز , موجز تاريخ العالم , ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد , مكتبة النهضة المصرية , مصر , د ت, ص٣٠٤

[٣٤]) ادوارد جيبون ,اظمحلال الامبراطورية الرومانية , ترجمة محمد علي ابو درة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر ,ط٢ ,١٩٩٧,ص٢٤٤-٢٢٥

[٣٥]) نعيم فرح , الحضارة الاوربية في العصور الوسطى , دمشق , ط ٢ , ٢٠٠٠, ص١٦٠-١٦٢

[36]) HILAIRE BELLOC , EUROPE AND THE FAITH, New York,1930,p 64

[٣٧]) ول ديورانت , المصدر السابق , ص٣٨٥

[٣٨]) نورمان ف . كانتور , المصدر السابق , ص٦٢

بعد ان اسفر الصراع على العرش الامبراطوري في المرحلة الاولى بفوز المتحالفين في الغرب ودحر اباطرة الشرق فاصبح من البديهي ان يدخل هذان الحليفان في صراع اخر لينفرد واحد منهما على الامبراطورية فعلى الرغم من تحالفهما الا ان قسطنطين لم يثق ابدا بحليفه ليسنيوس كما كان الاخير يكره قسطنطين ويحقد عليه ويخشى مخططاته اذ كان كلا الحاكمين لم يفارقه قط أمله في ان يكون صاحب السيادة وحده على الدولة جميعا اذ اوصلهم هذا الصموح الى العداء المتزايد بينهما مع نهاية عام ٣١٤م الى امتشاق الحسام وبدأت هذة المناوشات عندما حاول قسطنطين بتعين شريك يحكم المنطقة الفاصلة بين ممتلكاته في الغرب وممتلكات ليسنيوس في الشرق وكانت هذة الخطوة بمثابة استفزاز لشريكه عندما اختار باسيانوس زوج اخته اناستاسيا ليشغل منصب حاكم ايطاليا وبانونيا وافريقيا وقد شجع قسطنطين على ذلك هو وجود شقيق باسيانوس في بلاط ليسنيوس وهو سينيكو الذي كان يحظى باحترام ليسنيوس وقد رفض الاخير تصرف قسطنطين وتحول هذا الرفض الى خلاف حاد وصل الى رفع السلاح بينهما فاستغل قسطنطين هذه الحادثة ليبدأ بالهجوم على الشرق عام ٣١٦ م وهزم ليسنيوس في معركتي سيباليس وماردیا [٣٩] ولكن الجيشين تعادلا في تراكيا مما شجعهما على عقد هدنة بمقتضاها تنازل ليسنيوس عن حقوقه في ولايات الامبراطورية في اوربا عدا تراكيا ووافق قسطنطين بالمقابل على الاعتراف بليسنيوس امبراطورا شريكا وان يسحب اعلانه بانه الاغسطس الاعلى[٤٠] اعترف ليسنيوس بمرارة الهزيمة امام قسطنطين وتنازله عن الكثير من ممتلكاته في القسم الغربي لذلك قام بطريقة اخرى للانتقام من قسطنطين عندما الغى ماجاء به مرسوم ميلان فعاد الى اضطهاد المسيحيين المؤيدين لقسطنطين في آسيا ومصر فطردهم من قصره في نيقوميديا وحتم على كل جندي ان يعبد الوثنية وحرم اجتماع الرجال والنساء اثناء العبادات والطقوس المسيحية وكذلك الشعائر داخل المدينة وامر بطرد من عصى من المسيحيين من خدمة الحكومة وحرمانهم من حق المواطنة ومن املاكهم او حريتهم او حياتهم.[٤١]

كانت حجته في اضطهاد المسيحيين هو الانشقاق الذي دب في الكنيسة المسيحية والصراع الداخلي بينهما اذ وجد ليسنيوس في هذا الانشقاق ما يؤثر على سلامة امنه الداخلي وعلى صيغة الحكم في الشرق لكن هذا التصرف اغضب قسطنطين فاخذ يتحين الفرص للتخلص منه وعندما هاجمت قبائل القوط منطقتي ميسيا وتراكيا عام ٣٢٣م وعجز ليسنيوس في الدفاع عنهما[٤٢] فاتيحت هذه الفرصة لقسطنطين ليرد على الهجوم القوطي مارا بالولايات التابعة لغريمه ليسنيوس الذي احتج هذا الاعتداء وتطور الموقف ليكون حربا ما بين الفرقين وهذا بالتاكيد ماكان ينتظره قسطنطين ليتخلص من شريكه بالحكم ويسطير وحدة على العرش الامبراطوري[٤٣] ,اذ حشد الامبراطور الطموح جيشا كبيرا لمواجهة منافسه ليسنيوس وبدأت المناوشات في صيف عام ٣٢٤م وقد هزم قسطنطين قوات ليسنيوس قرب هادريا نوبوليس كما الحق ابن قسطنطين الامير كرسبوس هزيمة ساحقة باسطول ليسنيوس قرب البسفور والدردنيل واصبح له السيطرة على البحار ,بعد ذلك عبر قسطنطين البسفور وعند كريسبويس (اشقودرة) استطاع ان يقضي على البقية الباقية من جيوش ليسنيوس الذي استسلم واراد ان يقتله لولا تدخل زوجته كونستانتيا شقيقة الامبراطور فعفى عنه ونفاه الى سالونيك لكنه اعدم في السنة الثانية متهما بانه عاد الى دسائسه[٤٤] وهكذا اصبح قسطنطين الامبراطور الاوحد على كافة ولايات الامبراطورية وتوحدت تحت امرته الامبراطورية الرومانية لاول مرة بعد اربعين عاما [٤٥] وبذلك الغى قسطنطين النظام الرباعي في الحكم وقام بتعيين حكاما يساعدوه في ادارة شؤون الامبراطورية كما استدعى المنفيين من المسيحيين واعاد اليهم مافقدوه من الامتيازات والممتلكات [٤٦]

---

[٣٩]) سيد احمد علي الناصري , المصدر السابق , ص٤٣٦

[40]) Matthew Bunson, Encyclopedia Of The Roman Empire, 2016, p 271

[٤١]) ول ديورانت , المصدر السابق , ص٣٨٥

[٤٢]) شارل سنيوبوس , تاريخ حضارات العالم , ترجمة محمد كرد علي , الدار العالمية للكتب , مصر , ط١, ٢٠١٢, ص ٢٦٢

[٤٣]) سيد احمد علي الناصري , المصدر السابق , ص٤٤١

[٤٤])ول ديورانت , المصدر السابق , ص٣٨٦

[45]) Matthew Bunson, , op.cit ,p 273

[٤٦]) شارل سنيوبوس , المصدر السابق , ص ٢٦١, محمود سعيد عمران , معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى , المصدر السابق , ٣٦

الخـــاتـمة

من خلال ما تقدم توصل الباحثان الى ان هناك ظروفا واسباب ادت اغلى تقسيم الامبراطورية الرومانية الى عدة ولايات ومن ابرز هذة الاسباب الصراع على السلطة وطموحات الاباطرة اذ بدات بتقسيم الامبراطورية الى قسمين شرقي وغربي ونتيجة لسعة وتشعب الامبراطورية جغرافيا وسياسيا جرى في عام ٢٩٣م تقسيم الامبراطورية الى اربعة اقسام وعلى الرغم مماحمله هذا النظام الاداري من فوائد وايجابيات الا انه حمل ايضا في طياته الكثير من عوامل الفشل وان النتيجة الابرز لهذة الصراعات هو تقسيم الامبراطورية الى قسمين شرقي وغربي واصدار مرسوم ميلان الذي منح الحرية للكنائس المسيحية ورد الاعتبار اليها واعادة ممتلكاتها المصادرة واعفاء رجالها من الخدمة الالزامية .

لقد ادى هذا تقسيم الامبراطورية الى قسمين شرقي بقيادة ليسنيوس وغربي بقيادة قسطنطين الى اشتداد الصراع مرة اخرى بينهما للسيطرة والانفراد بحكم الامبراطورية واسفر هذا الصراع عن بلوغ قسطنطين مرتبة الامبراطور الاوحد على كافة الولايات وتوحدت تحت امرته الامبراطورية بعد اربعين عاما من الصراع .

المصادر والمراجع

اولا : المصادر العربية

١- عبد الله السليمان, تاريخ الرومان ,نور حوران للدراسات والنشر والتراث ,دمشق ,ط١,٢٠٢٠

٢- محمود محمد الحويري , رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية, دار المعارف ,مصر ,ط٣, ١٩٩٥

٣- عفاف سيد صبره , الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ,دار النهضة العربية ,مصر,ط١, ١٩٨٢

٤- سيد احمد علي الناصري , تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري, دار النهضة العربية ,مصر,ط٢, ١٩٩١

٥- احمد غانم حافظ ,الامبراطورية الرومانية من النشأ الى الانهيار ,تقديم حسين احمد الشيخ ,دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ط١ , ٢٠٠٧

٦- محمود سعيد عمران ,معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى ,دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية ,د ط ,د ت

٧- محمود سعيد عمران , الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ,دار النهضة العربية, بيروت ,ط٢, ٢٠٠٢

٨- نعيم فرح , الحضارة الاوربية في العصور الوسطى , دمشق , ط ٢ , ٢٠٠٠

ثانيأ : المصادر المترجمة

١- ل.ج. شيني , تاريخ العالم الغربي ,ترجمة مجد الدين حفنى ناصف ,مراجعة علي ادهم , دار النهضة العربية ,مصر , د.ت

٢- كافين رايلي , الغرب والعالم تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ,ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري , هدى عبد السميع حجازي , الكويت , ١٩٨٥

٣- اندريه ايمار ,جانين ابوايه , تاريخ الحضارات العام روما وامبراطوريتها , ترجمة فريد م داغر وفؤاد ج ابو ريحان,المجلد الثاني , منشورات عويدات ,بيروت ,ط٢, ١٩٨٦

٤- أ.ب. تشارلز روث ,الامبراطورية الرومانية, ترجمة رمزي عبده جرجس ,مراجعة محمد صقر خفاجة ,القاهرة ,د ت,

٥- ول ديورانت , قصة الحضارة , قيصر والمسيح او الحضارة الرومانية ,الجزء الثالث من المجلد الثالث , ترجمة محمد بدران ,دار الجيل , بيروت , ١٩٨٨

٦- نورمان ف. كانتور , التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية , القسم الاول , ترجمة قاسم عبده قاسم , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , مصر ,ط٥ ,١٩٩٧
٧- ه.ج, ويلز , موجز تاريخ العالم , ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد , مكتبة النهضة المصرية , مصر , د ت
٨- ادوارد جيبون ,اظمحلال الامبراطورية الرومانية , ترجمة محمد علي ابو درة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر ,ط٢ ,١٩٩٧
٩- شارل سنيوبوس , تاريخ حضارات العالم , ترجمة محمد كرد علي , الدار العالمية للكتب , مصر , ط١, ٢٠١٢

ثالثا: المصادر باللغة الانكليزية

1- Matthew Bunson, Encyclopedia Of The Roman Empire, 2016
2- HILAIRE BELLOC , EUROPE AND THE FAITH, New York,1930
3- DAVID S. POTTER , THE ROMANEMPIRE, 2006 by Blackwell Publishing